

روح المعاني

يا قوم يا قوم اعبدوا الله وحده كما يدل عليه قوله تعالى : مالكم من إله غيره فانه استئناف جار مجرى البيان للعبادة المأمور بها والتعليل لها أو للامر كأنه قيل : خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئاً إذ ليس لكم إله سواه .
وقريء غير بالحركات الثلاث كالذي قبل أفلا تتقون .

. 56

- إنكار واستبعاد لعدم اتقائهم عذاب الله تعالى بعدم ما علموا ما حل بقوم نوح عليه السلام كما قال شيخ الاسلام خاطبهم بكل منهما واكتفى بحكاية كل منهما في موطن عن حكايته في موطن آخر كما لم يذكر ههنا ما ذكر هناك من قوله إن أنتم إلا مفترون وقس على ذلك حال بقية ما ذكروا ما لم يذكر من أجزاء القصة بل حال نظائره في سائر القصص لاسيما في المحاورات الجارية في الأوقات المتعددة .

وقال غير واحد : إنما قيل ههنا : أفلا تتقون وفيما تقدم من مخاطبة نوح عليه السلام قومه إنني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم لأن هؤلاء قد علموا بما حل بغيرهم من نظرائهم ولم يكن قبل واقعة قوم نوح عليه السلام واقعة وقيل : لأن هؤلاء كانوا أقرب إلى الحق وإجابة الدعوة من قوم نوح عليه السلام وهذا دون إنني أخاف عليكم الخ في التحويف ويرشد إلى ذلك ما تقدم مع قوله تعالى : قال الملأ الذين كفروا من قومه حيث قيد هنا الملأ المعاند بمن كفر واطلق هناك وقد صرحوا بأن هذا الوصف لأنه لم يكن كلهم على الكفر بل من أشرافهم من آمن به عليه السلام كمرثد بن سعد الذي كان يكتنم إيمانه ولا كذلك قوم نوح ومن آمن به عليه السلام منهم لم يكن من الاشراف كما هو الغالب في اتباع الرسل عليهم السلام وقيل إنه وقت مخاطبة نوح عليه السلام لقومه لم يكونوا آمنوا بخلاف قوم هود ومثله كما قال الشهاب يحتاج إلى نقل واعتراض المولى بهاء الدين على تلك التفرقة بين القومين بأنه قد جاء في سورة المؤمنين وصف قوم نوح بما وصف به قوم هود هنا فكيف تنأتي هذه التفرقة وأجيب بأن الوصف هناك محمول على أنه للذم لا للتميز وإنما لم يذم ههنا للإشارة إلى التفرقة وقال الطيبي : يمكن أن يقال : إن الوصف هنا للذم أيضاً ومقتضى المقام يقتضي ذمهم لشدة عنادهم كما يدل عليه جوابهم بما حكاه الله تعالى من قولهم إنا لنراك في سفاهة أي متمكنا في فجة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين آباءك وإنا لنظنك من الكاذبين .

. 66

- حيث ادعت الرسالة وهو أبلغ من كاذبا كما مرت الإشارة اليه والظن إما على ظاهره

كما قال الحسن والزجاج وإما بمعنى العلم كما قيل وذلك لأنهم قالوا ما قالوا مع كونه عليه السلام معروفا بينهم بصد ذلك ولا يقتضي ذم قوم نوح عليه السلام وحيث اقتضى في سورة المؤمنين ذمهم لأنهم قالوا كما قصه سبحانه وتعالى هناك ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله أنزل ملائكة : ما سمعنا بهذا في آباءنا الأولين إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين وقال بعضهم : إن الظاهر أن ما نقل هنا عن قوم نوح عليه السلام مقالتهم في مجلس أو مقالة بعضهم وما نقل في سورة المؤمنين مقالتهم في مجلس آخر أو مقالة آخرين فروع في المقامين مقتضى كل من المقالتين قال عليه السلام مستعظفا لهم أو مستميلا لقلوبهم يا قوم ليس بي سفاهة أي شيء منها فضلا عن تمكني فيها كما زعمتم